أسباب سعادة الأسرة

لفضيلة الشيخ
سليمان بن سليم الله الرحيلي
أستاذ الفقه في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية

للنشر والتوزيع

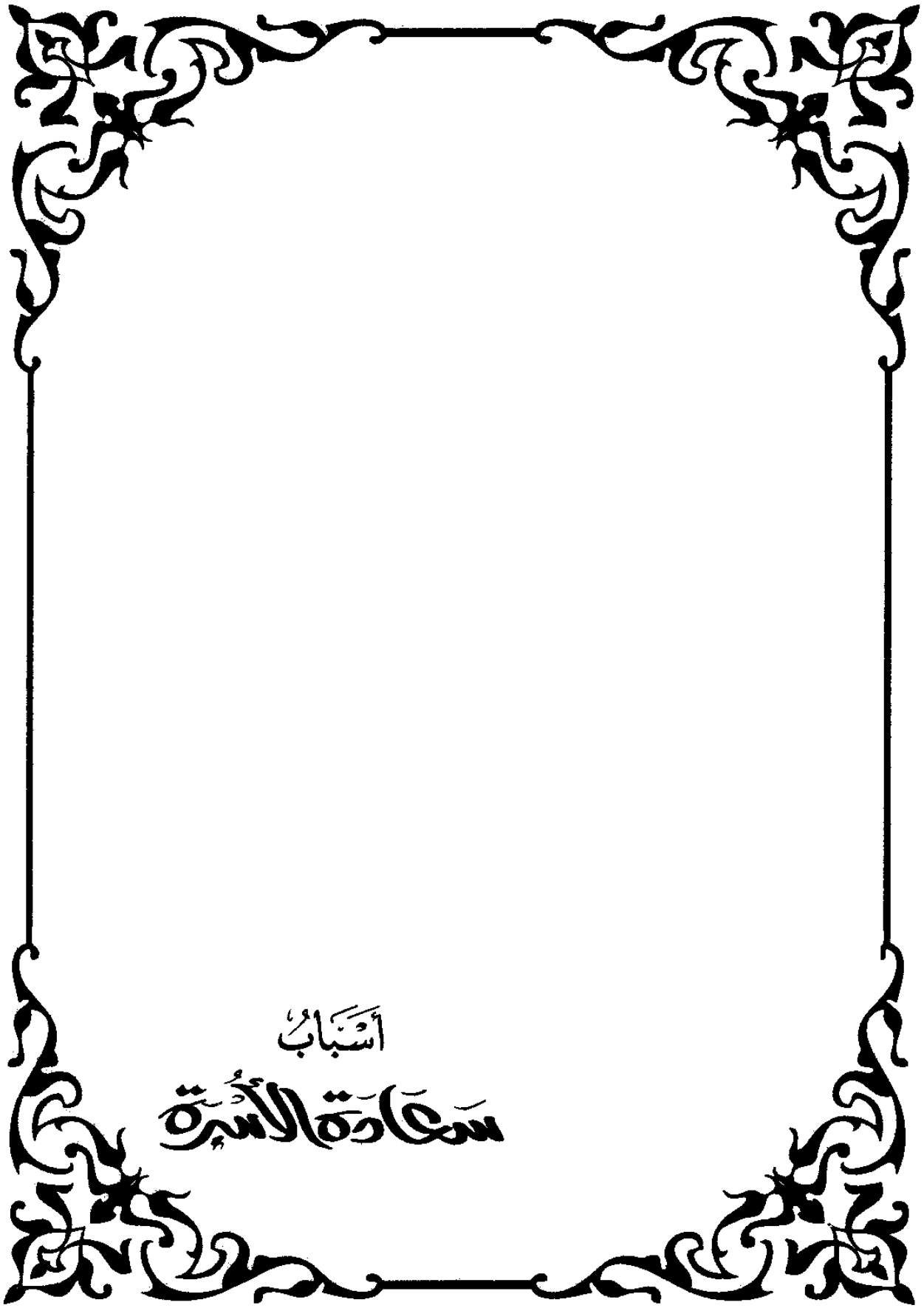

أسباب سعادة الأسرة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

طبع بإذن المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتـــى في النص والعلماء هم ورثه
ما خلّف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعـــه وأثاثـه

رقم الإيداع القانوني: ٥٥٥٤ - ٢٠١١
ردمـــــك: ٦-٦٣-٩٨٧-٩٩٤٧-٩٧٨

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)
الفاكس : 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

أسباب
سعادة الأسرة

لفضيلة الشيخ
سليمان بن سليم الله الرحيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب سعادة الأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

ثم -أيُّها الإخوةُ الفضلاءُ- هل علمتُم لماذا اجتمعنا اليومَ، في هذا المكانِ المباركِ؟ وعلىٰ أيِّ أمرٍ اجتمعنا؟ إننا اجتمعنا في بيتٍ مِن بيوتِ اللهِ، نتعرَّضُ لرحماتِ اللهِ، رجاءَ أن نكونَ بفضلِ ربِّنا مِن الفائزين، وللأجورِ الكريمةِ، التي رتّبها علىٰ الاجتماعِ فِي بيتٍ مِن بيوتِه، مِن الحائزين، يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

هذه الآيةُ فيها تمدُّحٌ عجيبٌ، ووعدٌ كريمٌ، «فِي بُيُوتٍ»: هي بيوتُ الله، أضيفت إلىٰ الله تشريفًا، وما أحسنَ يا عبدَالله، أن تجلسَ في بيتٍ يُضافُ إلىٰ اللهِ، مَن الذي أضافه؟ أضافه اللهُ إليه، ولو لم يأذنْ لنا اللهُ أن نسميَّه «بيتَ اللهِ» ما سَمَّيْناهُ، فأذِن اللهُ لنا تشريفا، أن نُسَمِّيَ هذه المساجدَ ببيوتَ الله، ثم أذِن لنا أن تُرفعَ، ونذكرَ فيها اسمه، وأن نسبِّحَ له فيها بالغدوِّ والآصال، وتمدّحَ أولئك الرجالَ، بأنهم لا تُلهيهِم تجارةٌ ولا بيعٌ، عن ذكرِه، فإذا سمعوا ذكرَ اللهِ أَتَوْهُ مُسارعين، مُنشرِحين، مُقبلِين، يُقدَّمون ذلك علىٰ الدنيا، لأنَّهم علِموا علمَ اليقينِ أنّ الآخرةَ خيرٌ مِن الأولىٰ، فلم يُؤثِروا الدنيا علىٰ الآخرةِ، وإنَّما اغتنموا الوقتَ بأمر يمدَحُ الله عَزَّوَجَلَّ فَاعِلِيْه، ما الذي هداهم إلىٰ هذا الأمر؟ لهم قلوبٌ حيّةٌ يخافون يومًا تتقلَّبُ فيه القلوبُ والأبصارُ، ما الذي قلّبها؟ إنه يومٌ ترىٰ الناسَ فيه سكارَىٰ يتمايلون، وما هم بسكارَىٰ، ما الذي جعلهم يتمايلون؟ السُكر؟، ولكنَّهم رأوا عذابَ اللهِ، وعذابَ اللهِ شديدٌ، فأخافهم، تتقلَّبُ

فيه القلوبُ والأبصارُ، فماذا وعدَهم اللهُ؟: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٨]، ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: مِن الأعمالِ الصالحةِ، فهذا الذي فعلوه مِن رِزقِ اللهِ، مِن فضلِ اللهِ، ويرزُقهم رزقًا يَسعدون به؛ لأنّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَمَعَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»(١)، فمَن جعل الآخرةَ همَّهُ، ومُبتغاه، جمعَ اللهُ له قلبَه، فليس له أمورٌ متشعِّبةٌ، لا يَرتاحُ بها، وجعل غِناه في قلبه، فهو يشعرُ أنه غنيٌّ، فلا يشقىٰ، ومع ذلك أتته الدنيا وهي راغمةٌ، وهذا مِن فضلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ويقولُ النبيُّ ﷺ مبشِّرًا وحاثًّا أُمّتَه: «وَمَا اِجْتَمَعَ قَوْم فِي بَيْت مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلونَ كتَابَ اللهِ، ويَتَدَارَسُونَه بَيْنَهم، إلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهم السَّكِينَةُ،

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٠)، وابن حبان (٢/ ٦٨٠) وأحمد (٥/ ١٨٣)، والدارمي (١/ ٢٢٩) وغيرهم، وصحح البوصيري إسناد ابن ماجه في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢١٢)، وقال عن إسناد الطبراني: «لا بأس به»، وصحح الحديث الألباني في «الصحيحة» (٤٠٤).

وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتْهُمْ الْمَلاَئكَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[١]، ما أعظمَه من فضلٍ؛ ويقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا، أَوْ يُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ، تَامَّةٍ حَجَّتُهُ»[٢]، اللهُ أكبرُ يا عبدَالله، أجرُ حجٍّ تامٍّ؟!! لا يحتاجُ إلىٰ سفرٍ ولا يحتاجُ إلىٰ الانقطاعِ أيَّامًا، وإنما هي نيةٌ صادقةٌ، وسعيٌ صالحٌ إلىٰ بيتٍ مِن بيوتِ اللهِ، ترجو به أن تُعلِّمَ خيرًا، أو ترجو به أن تتعلَّمَ خيرًا، فكان ماذا؟ كان لك كأجرِ حاجٍّ، قد تَمَّ حجُّه، والحجُّ المبرورُ، ليس له جزاءٌ إلا الجنةَ؛ ويعظمُ شأنُ هذا الاجتماعِ، إذا كان بين صلاتين كحالنا الليلةَ، فإن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ، ثُمَّ مَرَّ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ يَرْعَىٰ الصَّلَاةَ، كَتَبَ لَهُ كَاتِبَهُ أَوْ كَاتِبَاهُ، بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، عَشْرَ حَسَنَاتٍ،

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) رواه الطبراني (٨/ ٧٤٧٣)، وفي «الشاميين» (١/ ٤٢٣) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٩٧)، قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٥٩): «بإسناد لا بأس به»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٩): «رجاله موثقون كلهم»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٠): «حسن صحيح».

وَالْقَاعِدُ يَرْعَىٰ الصَّلاَةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ»[1]، ما أعظمَه مِن فضل -أيُّها الإخوةُ-، إذا خرجَ الإنسانُ مِن بيتِهِ وقد تطهّرَ، وهو يريدُ بيتَ الله مِن أجلِ الصلاةِ، كُتب له بكلِّ خطوةٍ، يخطوها إلىٰ المسجدِ، عشرَ حسناتٍ، ثم ماذا؟ «وَالْقَاعِدُ يَرْعَىٰ الصَّلاَةَ» أي: ينتظرها «كَالْقَانِتِ» مَن هو القانتُ؟ هو القائمُ الذي يصلي، فأنت إذا جئتَ مِن بيتكَ ولو فكرتَ كثيرًا، وجلستَ في المسجدِ، تنتظرُ الصلاةَ؛ فيُكتبُ لك أجرُ المصلِّي، والقائمِ الذي يصلِّي.

«ويُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ»: فمدةَ بقائك في المسجدِ، تُكتبُ مِن المصلِّين، ولو كنت جالسًا، ما دمتَ تنتظرُ الصلاةَ، حتىٰ ترجعَ إلىٰ بيتِك، فما أعظمَه من أجرٍ.

---

(١) رواه ابن حبان (٥/ ٢٠٣٨ و٢٠٤٥)، والحاكم (١/ ٧٦٦) -واللفظ له-، وابن خزيمة (٢/ ١٤٩٢)، والطبراني (١٧/ ٨٤٢)، من طريق عمرو بن الحارث عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وفي إسناده أبو عشانة -واسمه حي بن يؤمن- لم يخرج له مسلم، وقال عنه الحافظ في «التقريب»، رقم:(١٦٠٣): «ثقة مشهور».

ويقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةٌ عَلَىٰ إِثْرِ صَلَاةٍ، لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا، كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ»، فإذا صليتَ فريضةً مِن فرائضِ اللهِ، ثم صليتَ أختَها، ولم تلْغُ بينهما، لم يكن منك بينهما حديثٌ محرَّمٌ، ما الفضلُ؟ كتابٌ في عليِّين؟! وما أدراك يا عبدَالله ما عليُّون؟ ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المطففين: ٢٠] مَن الذي يَشهدُه؟ ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ٢١]، ما أعظمَه مِن فضلٍ؛ والفضائلُ في مِثلِ هذا الأمرِ كثيرةٌ جدًّا -أيُّها الإخوةُ-، فنسألُ اللهَ أن يعطيَنا فوقَ ما نُؤمِّلُ، وألَّا يَكِلَنَا إلىٰ ما نعملُ، وما أكثرَ مَن يُحرَمُ مِن مثلِ هذا الخيرِ، فنحمدُ اللهَ أن وفقَّنا إليه، ونسألُ اللهَ أن يهديَ إخوانَنا جميعًا إلىٰ اكتسابِ هذهِ الفضائلِ.

وأما الأمرُ الذي نجتمعُ عليه، فالأمرُ كما سمعنا مِن الشيخ صالحٍ وفقه اللهُ: « أسبابُ سعادةِ الأسرةِ »، وهو مِن الأهميَّةِ بمكان، فكلُّنا ذو أسرةٍ، صغيرُنا وكبيرُنا، كلُّنا أملُه أن يرىٰ السعادةَ في بيتِه، كلُّنا مِن مُناهُ أن يرىٰ الفرحَ في وجوهِ زوجتِهِ وأبنائِه، كُلُّنا يطمحُ إلىٰ السعادةِ، ولا شكَّ أن الأسرةَ أساسُ المجتمعِ، فإذا كانت الأسرةُ سعيدةً مستقرةً، كان المجتمعُ مُستقِرًّا سعيدًا.

ويجبُ أن نعلمَ أنّا عندما نتكلمُ عن سعادةِ الأسرِ، لا نعني أن تكونَ الأسرةُ بلا مشاكلَ، فإنَّ مِن طبيعةِ اجتماعِ الناسِ، أن تقعَ بينهم بعضُ المُنَغِّصات، وأن تقعَ بينهم بعضُ الإشكالات، لكنّا نقصدُ أن يكونَ الأصلُ في الأسرةِ، السعادةَ والصفاءَ، وأن تكونَ الأسرةُ قادرةً علىٰ التعاملِ مع المشاكلِ، بما لا يُعكِّرُ صفوَها، ولا يُذهبُ هناءَها، نقصدُ أن تُرَفْرِفَ السعادةُ علىٰ الأسرةِ، فإذا دخلَ الأبُ أشرقَ البيتُ به سعادةً، وإذا خرجَ، انتظرَ أهلُه رجوعَه، نقصدُ أن يرتاحَ الزوجُ بزوجتِه، وأن ترتاحَ الزوجةُ بزوجِها، وأن يرتاحَ الأبناءُ بوالدَيهم، وأن يرتاحَ الوالدان بأبنائهما، أن تكونَ هنالك رأفةٌ في البيوت.

والمعلومُ أنَّ الأسرةَ مكوَّنةٌ مِن أصلٍ وفرعٍ، فأصلُها الزوجان، وفروعُها ثمارُ الزواج: الأبناءُ مِن الذكورِ والإناثِ؛ والمعلومُ أنه إذا حصلت السعادةُ للأصل، انعكست تلك السعادةُ علىٰ الأبناء.

والمعلومُ لكلِّ أحدٍ، أنّ كلَّ إنسانٍ، يرغبُ في أن تكونَ السعادةُ في بيتِه، لكنَّ طرقَ الناسِ، تنوَّعت في تحقيقِ هذهِ السعادةِ؛ فمِن الناس مَن

ظنَّ أن السعادةَ في جمعِ الأموالِ، فجعلَ همَّه تكثيرَ الأموالِ، فأصبحَ يبحثُ عن تكثيرِ الأموالِ وأهملَ أسرتَه، يغيبُ عنهم أكثرَ الوقتِ، لا يسألُ عنهم، وإذا قيل له لماذا لا تُراعي أسرتَك؟ قال: كيف لا أراعي أسرتي، وأنا أتعبُ نفسي مِن أجلِ أن آتيَهم بالأموالِ!، فلا يُحقِّقُ السعادةَ لهم، ولا لنفسِهِ.

ومِن الناسِ مَن ظنَّ أنَّ سعادةَ الأسرةِ، في تكثيرِ الأولادِ فقط، فسعىٰ في تكثيرِ أولادِهِ، لكنه جعل ذلك مَلهاةً له، فكان حالُه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١ - ٢]، فلم تتحققْ له سعادةٌ.

وكثيرٌ مِن الناسِ ظنَّ أنّ السعادةَ في جمعِ الملاهي في البيوتِ، فأتىٰ لأسرتِه بأنواعِ الملاهي، يُريدُ أن يسعدَهم بظنِّه، فما حقّقَ السعادةَ.

إذ السعادةُ راحةُ القلبِ، وطمأنينتُه، وأمنُه، وسرورُه، وزوالُ همومِه وغمومِه، وارتياحُ الإنسانِ، لمن يُشاركُه حياتَه في بيتِهِ.

وإن للسعادةِ أسبابًا وأبوابًا، سنحاولُ في هذه الليلةِ تحديدَ بعضِ

أسبابِها، وفتحَ بعضِ أبوابِها، وما أحوجَنا إلىٰ هذا الأمرِ، وما أحوجَنا أن نتحدَّثَ عن سعادةِ الأسرِ في هذا الزمانِ، الذي كثُرت فيه المُلهياتُ، وأصبحَ أفرادُ الأسرةِ، يتَّجهون إلىٰ أن ينغلقَ كلُّ واحدٍ منهم، في عالَمِهِ الخاصِ، غزا الإنترنتُ بيوتَنا، وأصبحَ بعضُ الأزواجِ منغلقين في بيوتِهم علىٰ هذا الجهازِ، وأصبحَ الأبناءُ يبتعدون به عن والدِيهِم، ومِن الناس مَن أصبحَ منغلقًا علىٰ نفسه بقنواته، فهذا علىٰ قناةٍ، وذاك لا يحبُّها، فيشترون له جهازًا آخرَ يجلسُ عليه، وهكذا، فتباعدت الأسرةُ داخلَ بيتِها، فضلًا عن تباعدِ المجتمعِ في إطاره العامِ، وأصبحَ كثيرٌ منا يشعرون بالغربةِ في بيوتهم؛ وحصل الجفافُ في علاقةِ الزوجين ببعضِهما، وعلاقةِ الوالدَين بالأبناءِ، وعلاقةِ الأبناءِ بوالدَيهم، وعلاقةِ الإخوةِ فيما بينهم؛ فما أحوجَنا -معاشرَ الفضلاء- إلىٰ أن نتحدثَ عن أسبابِ سعادةِ الأسرةِ.

إنّ مِن أسباب سعادةِ الأسرِ، سببًا كبيرًا، هو أصلُ السعادةِ كلِّها، ولبُّها وروحُها، هو سرُّ الحياة ، هو سرُّ الراحة ، هو سرُّ الطمأنينةِ، مَن حصّله حصّلَ الخيرَ الكثيرَ، ألا وهو -عبادَ الله- : أن يحرصَ كلُّ واحدٍ

مِن الأسرةِ، علىٰ تحقيقِ الإيمانِ، والعملِ الصالحِ؛ فإنَّ ذلك أصلُ الحياةِ الطيِّبةِ، يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النحل:٩٧] هذا شرطٌ مَن الذي يشترطُه؟ ربُّ العالمين، ما هو هذا الشرطُ؟: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا»، وما هو العمل الصالحُ؟!

العملُ الصالحُ ما طار صاحبُه فيه بجناحين، جناحِ الإخلاص للهِ، فكان مخلِصا للهِ في عمله، وجناحِ المتابعةِ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان العملُ مشروعًا في كتابِ اللهِ أو في سنةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا العملُ الصالحُ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ فحقَّقَ الإيمانَ، والعملَ الصالحَ مع الإيمان، ما جوابُ الشرطِ؟ وما جزاءُهُ؟

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾، ومَن أحياه اللهُ الحياةَ الطيبةَ، مَن ذا الذي يُنغِّصُ عليه حياتَه؟ إذا كان اللهُ الذي بيدِهِ مقاليدُ الأمورِ، قد جعل حياتَه طيِّبةً فمَن ذا الذي يستطيعُ أن يُنغِّصَ عليه حياتَه؟ لو اجتمعَ الجنُّ والإنسُ، علىٰ أن يُنغِّصوا حياتَه، ما حرَّكوا في طيبِ حياتِه شيئًا، لأنَّ الذي طيَّبَ حياتَه هو اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

ويَجزيه الحسنىٰ في الدنيا والآخرةِ، يَجزيه بأحسنِ ما عملَ في الدنيا، بأن تكونَ حياتُه طيِّبةً، ويَجزيه في الآخرة بأن تكونَ حياتَه فيها طيِّبةً؛ بأن يكونَ مِن أهل الجنةِ، هذا وعدُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مَن أحياهُ اللهُ الحياةَ الطيِّبةَ، رزقه اللهُ القناعةَ، فكان قانعًا بما يحصلُ من خير، ورزقه اللهُ عَزَّوَجَلَّ طمأنينةَ النفس، فسكنت السعادةُ قلبَه، ورفرفت في بيتِهِ، وأسعَدَ مَن حوله، إن وجَد في بيتِهِ، وممن حوله من أسرته سرّاءَ، شكر، وجزىٰ مَن حوله بالخير، وإن وجَد في أسرته، وفيمن حوله ضرّاءَ، صبر وتجاوز عمّن أساء مِن أسرتِهِ، وليس ذلك إلا للمؤمنِ، يقولُ النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ» -تأمَّلوا يا إخوةُ، مَن الذي يتعجبُ؟ إنه محمدُ بنُ عبدِالله، رسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ» ما به؟ «إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ! إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»[1]، فمَن حققَ الإيمانَ تحققت له السعادةُ في هذا الأمرِ العظيمِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

يقول ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «في القلب شعَثٌ لا يَلُمُّه إلا الإقبالُ علىٰ الله -في القلب شعث: أي فُرقةٌ، تفرُّقٌ- لا يلمّه إلا الإقبالُ علىٰ الله، وفيه وحشةٌ لا يُزيلها إلا الأُنسُ بالله، وفيه حُزْنٌ لا يُذهبُه إلا السرورُ بمعرفة اللهِ، وصِدقُ معاملتِه، وفيه قلقٌ لا يُسكنُه إلا الاجتماعُ عليه، والفرارُ إليه، وفيه نيرانُ حسراتٍ، لا يُطفئُها إلا الرضا بأمرِه، ونهيِه، وقضائِه، ومُعانقةُ الصبرِ علىٰ ذلك، إلىٰ وقت لقائِه، وفيه فاقةٌ لا يَسدُّها إلا محبَّتُه والإنابةُ إليه، ودوامُ ذِكره، وصدقُ الإخلاصِ له، ولو أُعطيَ الدنيا وما فيها لم تُسُدَّ تلك الفاقةُ أبدًا»[1]، لو أُعطيَ الدنيا بأجمعها، مِن غيرِ الإقبالِ علىٰ اللهِ، لم تُسدَّ الفاقةُ أبدًا، فالذي يُذهبُ عن القلبِ ما يُزعجُه ويُقلقُه، ويُذهبُ صفاءَه هو الإقبالُ علىٰ اللهِ بالعملِ الصالحِ.

وإنّ ممَّا يتعلقُ بهذا الأصلِ في سعادةِ الأسرةِ، أن يكونَ اختيارُ الزوجين قائمًا علىٰ التديُّن، مع عدمِ إهمالِ ما يحتاجُ إليه الإنسانُ في ارتياحِهِ، إلىٰ مَن يُشاركُه حياتَه، هذا الذي وجّه إليه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٥٦).

يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[(١)]، فأخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المُرَغِّبات في نكاحِ المرأةِ: مالُها، جمالُها، حسبُها، دينُها، وبيَّنَ أنَّ الذي ظفرَ وفازَ، هو الذي ظفرَ بذات الدين؛ وما أحسنَ قولَ القائلِ:

ليس الفتاةُ بمالها وجمالها . . . كلا، ولا بمفاخرِ الآباء
لكنها بعفافها وبطُهرها . . . وصلاحِها للزوج والأبناء
وقيامها بشؤون منزلها وأن . . . ترعاك في السراء والضراء
يا ليت شعري أين توجد هذه . . . الفتياتُ تحت القبة الزرقاء؟!

إنهنَّ فتياتٌ يُبحثُ عنهن بماءِ الذهبِ، بل يبحثُ عنهنَّ بكنوزِ الذهبِ؛ ويقولُ المصطفىٰ المختارُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ؛ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوهُ، تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[(٢)]،

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) -واللفظ له-.

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٥)، وأبو داود «المراسيل» (٢٢٤)، والطبراني (٢٢/ ٧٦٢)، والبيهقي (٧/ ٨٢) -واللفظ له-. قال الترمذي: «حسن غريب». قال الألباني: «ولعل تحسين الترمذي المذكور، إنما هو باعتبار شواهده الآتية وخصوصًا

فجعلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختيارُ الزوج مبنيًّا علىٰ كونه ذا تديُّن وخُلُق، وأشار إلىٰ أن ذلك مِن أعظمِ الأمورِ، التي تُدفعُ بها الفتنُ، وتُستصلحُ بها الأرضُ، وتُستصلحُ بها البيوتُ.

وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»(١)، ومع هذا التوجيهِ العظيمِ، لم يُهملِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يحتاجُه الإنسانُ لكونه بشرًا؛ لتستقرَ حياتُه، ولذلك -أيُّها الإخوةُ- يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، -والمقصود أنه خطبها ليتزوجها- فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟**» قَالَ: «لَا» قَالَ: «**فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا**» -لماذا؟- قال: «**فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا**»، هذا الرجلُ مهاجريٌّ

حديث أبي هريرة، ثم ذكرها، انظر: «إرواء الغليل» (٦/ ٢٦٦-٢٦٨).

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، وابن حبان (٩/ ٤٠٥٦، ٤٠٥٧)، والطبراني (٢٠/ ٥٠٨)، والحاكم (٢/ ٢٦٨٥)، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني، انظر: «صحيح أبي داود» (١٧٨٩)، و«آداب الزفاف»/ ص٦٠.

مِن المهاجرين خطب امرأةً مِن الأنصارِ، فجاء يُخبر النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خطبها ، فقال له النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ » قال: «لَا» قال: «اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا »[1] لماذا؟ لأنه مُهاجريٌّ، وفي أعينِ الأنصارِ شيءٌ مِن الصِّغَرِ، قد لا يرتاحُ له المهاجريُّ، فانظروا كيف أرشده النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إلىٰ أن ينظرَ إلىٰ ما يَرتاحُ إليه؛ لكونه بشرًا، ولم يُهملْ هذا الجانبَ.

وجاء أنَّ المغيرةَ بنَ شعبةَ خطِب امرأةً ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ أَحْرَىٰ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا »[2] ، فذهب فنظر إليها، انظُروا -يا إخوةُ-، أرشد النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المغيرةَ أنَّ ينظرَ إلىٰ المرأةِ، التي يريدُ أن يتزوَّجَها، ثم أخبرَ بالحكمةِ، وهو أنه أحرىٰ أن يُؤدمَ بينهما، وأن تستديمَ الحياةُ علىٰ هناءٍ بينهما، فلم يكتفِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يَعْلَمَ الرجلُ بتديُّنِ مَن تقدّمَ لخِطبتِها، وإنما راعىٰ الحاجةَ البشريةَ؛ مِن

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٤).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٤٤ و٢٤٦)، والترمذي (١٠٨٧)، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٦). قال الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

أجلِ أن يرتاحَ الإنسانُ لمن يكونُ معه في حياتِهِ، وهذا أمرٌ مِن أعظمِ أسبابِ استقرارِ الأسرِ، فإذا تزوّج الرجلُ المرأةَ، وقد ارتاح لها، وهي ذاتُ دينٍ، كان ذلك فيه سعادةٌ لأسرتِهِ، وديمومةٌ لعلاقتِهِ الزوجيةِ.

ومِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ أمرٌ فقدَه الكثيرون في بيوتِهم اليومَ، ألا وهو أن يُقامَ في البيوتِ ذِكرُ الله عَزَّوَجَلَّ

للأسفِ في هذا الوقتِ، فقدَ كثيرٌ مِن أهلِنا، ذِكرَ اللهِ في البيوتِ، فلا يكادُ يُقرأُ القرآنُ في بيوتِهم، ولا يكادُ يُذكرُ اللهُ في بعضِ البيوتِ، وغلبت علىٰ البيوتِ أذكارُ الشياطين، غناءٌ في البيوت، موسيقىٰ، مما سبَّبَ كثيرًا مِن الشقاءِ في البيوتِ.

إنَّ المحافظةَ علىٰ ذكرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ -أيُّها الإخوةُ- تشرحُ الصدرَ، وبها يطمئنُ القلبُ، ألم يَقُلْ ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]؟ ألسنا موقنين؟ ألسنا مؤمنين؟ ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، فإذا ذُكر اللهُ في البيت، اطمأنّت البيوتُ، ذكرُ اللهِ، له

تأثيرٌ عجيبٌ، في انشراحِ الصدرِ، وزوالِ الهمِّ والغمِّ، ولهذا يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ** -ماذا؟- **مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»[(١)]، الذي يذكرُ اللهَ حيٌّ، والذي لا يذكرُ اللهَ ميِّتٌ، ولو سار بين الناس، ميتٌ لا حياةَ في حياته، ولا روحَ في بيته، لأنه لا يذكرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، فخيرُ الذكرِ عظيمٌ، وفضلُ اللهِ بسببه عميمٌ، هو مِن أعظمِ أسبابِ جلبِ السرورِ، لماذا يا عبدَالله؟ لأنك إن ذكرتَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كان اللهُ حافظًا لك، وإذا كنتَ تعلمُ أنّ اللهَ يحفظُك، ألا تكونُ مرتاحَ القلبِ؟ إذا علمتَ أنّ اللهَ الحفيظَ العليمَ حافظُك، ألا يرتاحُ قلبُك؟ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ شيطانًا قال له: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، حَتَّىٰ تَخْتِمَ الآيَةَ؛ فَإِنَّكَ لَمْ يَزَالْ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**»، فأخبر أبو هريرة النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فقال له: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧).

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٢٣١١)، و(٣٢٧٥)، و(٥٠١٠) معلَّقًا، ووصله النسائي (٩٥٩)، وابن خزيمة (٤/ ٢٤٢٤).

وكيفَ لا يرتاحُ قلبُ المسلمِ بحفظِ اللهِ، وهو يقرأُ خواتيمَ سورةِ «البقرةِ»، وقد قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(١)، كفتاه: يعني كفتاه عبادةً، فهي عبادةٌ عظيمةٌ في الليل، وكفتاه مِن كلِّ شرٍّ بفضلِ اللهِ، فيحفظُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بذلك.

كيف لا يطمئنُّ قلبُ المسلم، ويرتاحُ، وهو يقولُ في الصباحِ والمساءِ ثلاثَ مراتٍ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهِ؛ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اِسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ، حَتَّىٰ يُصْبِحَ» -انتبهوا يا إخوةُ- «لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»، «وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ، حَتَّىٰ يُمْسِيَ»(٢)، مَن قالها إذا أصبح: أمّنه اللهُ مِن فجأةِ البلاءِ حتىٰ يُمسي،

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٨) -واللفظ له-، ومسلم (٨٠٧).

(٢) رواه أحمد (١/ ٦٢ و٦٦ و٧٢)، وأبو داود (٥٠٨٨)، و(٥٠٨٩) -واللفظ له-، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٣٩١).

ومن قالها حين يمسي، أمّنه مِن فجأةِ البلاءِ حتىٰ يُصبحَ، فكيف لا يرتاحُ القلبُ بهذا الأمرِ؟.

كيف لا يطمئنُّ قلبُ المسلمِ، ويرتاحُ ويسعدُ، وهو يقرأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، والمعوِّذاتِ كُلَّ صباحٍ ومساءٍ ثلاثَ مراتٍ، والنبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[1].

وكيف لا يستوطنُ السرورُ قلبَك، ويَذهبُ الهمُّ، والحُزْنُ، والقلقُ، مِن قلبِك، وأنت تقول: اللهُ ربِّي لا شريكَ له؟، هل هذه الجملةُ صعبةُ الحفظِ؟ اللهُ ربِّي لا شريكَ له، وقد قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ، أَوْ غَمٌّ، أَوْ سَقَمٌ، أَوْ شِدَّةٌ، فَقَالَ: اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ، كُشِفَ ذَلِكَ عَنْهُ»[2]، فما أعظمَه من سببٍ، مِن أسبابِ السعادةِ، لكنا غفلنا عنه.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، وقال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وقال الألباني: «حسن صحيح». «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٤٩).

(٢) رواه الطبراني (٢٤/ ٣٩٦)، وفي «الدعاء» (١٠٩٢-مصطفىٰ عطاء)، والبيهقي

البيتُ الذي تُقرأُ فيه سورةُ «البقرةُ»، تفرُّ منه الشياطينُ[١]، ولكن مَن الذي يقرأُ سورةَ البقرةِ في بيتِهِ اليومَ؟ أفذاذٌ مِن الناسِ قلَّةٌ، ولذلك استوطنت الشياطينُ كثيرًا مِن البيوتِ، الإنسانُ إذا دخل بيتَه فقال: «بسم الله»، فرَّ الشيطانُ مِن البيتِ، وقال: «لاَ مَبيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ»[٢]، وكثيرٌ مِن الناس يدخلُ بيتَه لا يذكرُ اللهَ، بل بلغنا أن بعضَ الناسِ يدخلُ بيتَه، وهو يُغنِّي ويصفِّقُ، ومِثلُ هذا يدخلُ معه الشيطانُ، بل يسبقُه الشيطانُ إلىٰ البيتِ، وكيف تكونُ في بيتِهِ سعادةٌ؟

ومِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ، أن يكونَ الرجلُ، قيِّمًا علىٰ زوجتِهِ، راعيًا لأسرتِهِ، فإنّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ في كتابِهِ الكريمِ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء: ٣٤]، هذه

في «شعب الإيمان» (٩٧٤٩)، وفي «الآداب» (٩٣٦)، وغيرهما وحسن الألباني إسناديه في «الصحيحة»، بل صرح باحتمال أن يكون ثانيهما صحيحًا، انظر «الصحيحة» (٦/ ٥٩٢-٥٩٣).

(١) ثبت ذلك في حديث رواه مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه مسلم (٢٠١٨).

القِوامة مِن محاسنِ الإسلامِ، ومِن تمامِ نعمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ علينا، إذ فيها الخيرُ العظيمُ، وفيها موافقةُ فِطرةِ الزوجِ والزوجةِ، والقِوامةُ: تفويضٌ للزوجِ، بأن يقومَ بما يُصلحُ شأنَ زوجتِهِ.

قال الشيخُ ابنُ سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبرُ اللهُ تعالىٰ أنّ الرجالَ قوّامون علىٰ النساءِ، أي: قوامون عليهنَّ بإلزامهنَّ بحقوقِ اللهِ تعالىٰ، مِن المحافظةِ علىٰ فرائضِهِ، وكفِّهنَّ عن المفاسدِ، والرجالِ عليهم أنّ يُلزموهنَّ بذلك، وقوامون عليهنَّ أيضًا، بالإنفاقِ عليهنَّ، والكسوةِ، والمسكنِ»[1].

وجاء عن عبدِاللهِ بنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ...، والرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»[2]، فالرجلُ راعٍ للأسرةِ، يجبُ عليه أن يقومَ بما يُصلِحُها، وقد قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً،

---

(١) «تفسير السعدي» (ص:١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ»[(١)].

«مَا مِنْ عَبْدٍ»: كلُّ عبدٍ، «يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً»: أيَّ رعيةٍ، ولو كانت واحدةً، «يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ»: أي لم يُحطْها بنصحِهِ، «إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ»، وهذا يدلُّ -أيُّها الإخوةُ- علىٰ أنّ ذلك مِن كبائرِ الذنوبِ، التي تُسخِطُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ أن يسودَها الوُدُّ والمحبةُ، يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، مِن أسبابِ سعادةِ الأُسرِ، أن تحرِصوا في أسرِكُم معاشرَ المؤمنين، علىٰ المودَّةِ والرحمةِ، وقد حثَّ الإسلامُ علىٰ التودُّدِ إلىٰ المرأةِ، وتحمُّل ما قد يصدرُ منها مِن أذىٰ، وعلىٰ حفظِ معروفِها، يقول النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرُكُ مُؤمِنٌ مُؤمِنَةً، -يعني لا يُبغضُ مؤمنٌ مؤمنةً- إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[(٢)]، فلا سعادةَ بلا مودَّةٍ ولا تراحمٍ.

---

(١) رواه البخاري (٧١٥٠، ٧١٥١)، ومسلم (١٤٢) -واللفظ له-.

(٢) رواه مسلم (١٤٦٩).

وقد جاء الإسلامُ بما يكونُ مِن روافد هذهِ السعادةِ، وهي المرأةُ الصالحةُ، فعن سعدِ بنِ أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أربعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»[1].

«أربعٌ مِنَ السَّعَادَةِ» تأمَّلوها إنَّها مِن سعادةِ الأسرِ، «الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» تسعدُ بها الأسرةُ، «وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ» تعيشُ فيه الأسرةُ فتسعدُ، «وَالْجَارُ الصَّالِحُ» تُجاورُه الأسرةُ فتسعدُ، «وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ» تركبُه الأسرةُ فتسعدُ.

«وأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ»، مِن شقاوةِ الأسرِ، «الْجَارُ السُّوءُ»؛ فتشقىٰ به الأسرةُ «وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ»: السيِّئةُ غيرُ الصالحةِ؛ فتشقىٰ بها الأسرةُ، و«وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ»؛ فتشقىٰ به الأسرةُ، «وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»؛ فتشقىٰ به

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٦٨)، وابن حبان (٩/ ٤٠٣٢)، والحاكم (٢/ ٢٦٤٠)، والبزار (٤/ ١١٨٠ و١١٨٢)، و(٤/ ١١٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢).

الأسرةُ، يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفسِّرًا ما جاء في هذا الحديث: «ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ: اَلْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ -ما هي السعادة بها؟- قال: تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وتَغِيبُ فَتَأْمَنَهَا عَلَىٰ نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ -أي: المركبُ- تَكُونُ وَطِيئَةً -أي: ذَلولًا سريعةَ السيرِ- تُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ اَلْمَرَافِقِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: اَلمَرأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوؤُكَ، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا، لَمْ تَأْمَنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ بَطِيئَةً، تَكُونُ قَطوفًا، فَإِنْ ضَرَبْتَهَا أَتْعَبَتْكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا، لَمَ تَلْحَقْ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ ضَيِّقَةً، قَلِيلَةَ الْمَرَافِقِ»[1] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[2].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٨٤)، وقال: «صحيح الإسناد، من خالد بن عبدالله الواسطي إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تفرَّد به محمد بن بكير عن خالد، إن كان حفظه، فإنه صحيح علىٰ شرط الشيخين». وقال الذهبي: «محمدٌ؛ قال أبو حاتم: صدوق يغلط، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة».

(٢) رواه مسلم (١٤٦٧).

ومِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ، أن تكونَ العِشرةُ فيها بالمعروفِ، قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]، ولا شكَّ أنّ المعاشرةَ بالمعروفِ، سببٌ مِن أسبابِ السعادةِ، والمعاشرةُ بالمعروفِ مطلوبةٌ مِن الزوجِ، ومطلوبةٌ مِن الزوجةِ، ومطلوبةٌ مِن كلِّ الأسرةِ، يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، ويقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وهذا مِن أسبابِ سعادةِ الأسرةِ.

يقولُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: «أي علىٰ ما أمر اللهُ به مِن حُسنِ المعاشرةِ، والمرادُ بهذا الأمرِ في الأغلبِ الأزواجُ، -وتدخل فيه الزوجاتُ كما في الآيةِ الأخرىٰ- وذلك تَوْفِيَةُ حقِّها مِن المهرِ والنفقةِ، وألَّا يعبَسَ في وجهها بغير ذنبٍ، وأن يكونَ منطلِقًا في القول، لا فظًّا ولا غليظًا، ولا مُظهِرًا ميلًا إلىٰ غيرها»[1].

«ألا يعبسَ في وجهِها بغيرِ ذنبٍ»: بعضُ الأزواجِ، وبعضُ الآباءِ، ضحكُهم للناسِ في الخارجِ!، إذا رأيته خارجَ الأسرة قلت: ما شاء اللهُ! لا

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٩٧).

يكُفُّ عن الضحكِ! يُضحِكُ الناسَ الذين حوله، فإذا دخل البيتَ انقلب أسدًا! لا يبتسمُ في وجهِ زوجةٍ، ولا يبتسمُ في وجهِ ولدٍ!، وهذا ليس مِن العشرةِ بالمعروفِ.

«وأن يكون منطلقًا في القولِ»، فيُحدِّث الزوجةَ، ويُحدِّث الأبناءَ، بعضُ الناس إذا كان خارجَ بيتِه، لا يكُفُّ لسانَه عن الحديثِ، كما يقول العوامُ: «سلطانُ مجلسٍ»!، فإذا دخل البيتَ انبَكَمَ، فلا يكادُ يتكلمُ، وإن تكلَّم كان فظًّا غليظًا، وهذا ليس مِن العشرةِ بالمعروفِ، ويُحقِّقُ للأسرةِ الشقاءَ، قال القرطبيُّ: «فَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِحُسْنِ صُحْبَةِ النِّسَاءِ، إِذَا عَقَدُوا عَلَيْهِنَّ؛ لِتَكُونَ أَدَمَةُ مَا بَيْنَهُمْ وَصُحْبَتُهُمْ عَلَىٰ الْكَمَالِ؛ فإنه أهدأُ للنفس، وأهنأُ للعيش»[1].

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي الْمَرْأَةُ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٩٧).

عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]»[(١)]، يعني: يتزينُ الرجلُ لامرأتِهِ بما يليقُ به، كما يُحبُّ أن تتزينَ له بما يليقُ بها، فإذا بُنيت البيوتُ علىٰ العشرةِ الحسنةِ، تحققت السعادةُ، يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[(٢)]، فخيرُكم معاشرَ الرجالِ خيرُكم لأهلِه، مَن الذي شهِد بهذا؟ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَن كان خيرًا لأهلِه، كان سببًا في سعادةِ أهلِه.

وكان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو رسولُ اللهِ، قائدُ الأمةِ- يتلطّفُ إلىٰ زوجاتِه، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضاحكُ نساءَه، ويحدّثُ نساءَه، حتىٰ بعدَ العِشاءِ، وكان يسابقُ عائشةَ، تقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سَابَقَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَقْتُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَحْمِلَ اللَّحْمَ» انظروا -يا إخوةُ-

---

(١) رواه ابن أبي شيبة: «المصنف» (٥/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم: «التفسير» (٢/ ٢١٩٦)، والطبري (٤/ ٤٧٦٨) والبيهقي (٧/ ٢٩٥).

(٢) رواه الدارمي (٢/ ٢٢٦٠)، والترمذي (٣٨٩٥)، وابن حبان (٩/ ٤١٧٧)، وقال الترمذي: «حسن غرب صحيح»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و(١١٧٤).

رسولُ الله مَن أعلىٰ مكانةً منه؟ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في أيّ عُمر؟ بعد أن تجاوزَ الخمسين، لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما بنا بعائشةَ في المدينةِ، فكان فوقَ الثالثةِ والخمسين مِن عمرِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يسابق زوجته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد جاء تفسيرُ هذا الحديث: أنه كان مع أصحابِه في سفرٍ ومعه عائشةُ، فقال لأصحابِه: «تَقَدَّمُوا» فتقدم القومُ، فقال: «يَا عَائِشَةُ تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ»، سبحانَ اللهِ! ما أعظمَ هذه العشرةَ! وما أعظمَ هذه السعادةَ! معه جمعٌ من أصحابِه في سفرٍ، فيقولُ: «تَقَدَّمُوا»، مِن أجل ماذا؟ مِن أجلِ أن يُسابقَ عائشةَ، فيقولُ: «يَا عَائِشَةُ تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ» تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَسَبَقْتُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَحْمِلَ اللَّحْمَ» عندما كانت صغيرةً، والمعلومُ أنّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل بعائشةَ وعمرُها تسعُ سنين، تقول: «ثُمَّ سَابَقْتُهُ بَعْدَمَا حَمَلْتَ اللَّحْمَ، فَسَبَقَنِي، فَضَحِكَ» فقال: «هَذِهِ بِتِلْكَ يَا عَائِشَةُ»، وقد جاء في الرواية: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المرة الثانية، كان معَ أصحابِه في مسيرٍ، فقال لأصحابِه: «تَقَدَّمُوا»، فقال لعائشةَ: «تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ»، فقالت: «يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ» -يعني: أصبحت ثقيلةً، لا

تستطيعُ المسابقةَ- قال: «تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ»، فسابقها ﷺ وهو في عمرِ الستين أو نحوِها، لم نجدِ التحديدَ، لكن لا شكَّ أنه عندما تقدَّم سنُّهُ؛ لأنّ عائشةَ رضي الله عنها تقولُ إنها حملت اللحمَ، فسابقها فسبقها، فضحك، وقال: «يَا عَائِشَةُ هَذِهِ بِتِلْكَ» [1]، فلم ينسَ ذاك الأمرَ، وأدخلَ السرورَ علىٰ عائشةَ رضي الله عنها هذه العشرةُ التي تسبِّبُ السعادةَ بين الزوجينِ، لم يَشغلْهُ همٌّ عظيمٌ يحملُه -هو أمرُ الأمةِ- عن هذه العشرةِ الحسنةِ، فما أجملَ أن يخصِّصَ الزوجُ لزوجتِه وأبنائِه يومًا، أو وقتًا يُلاعبُهم فيه.

بعضُ مشايخِنا الكِبارِ في السنِّ، قد فرَّغ لأبنائِه يومًا في الأسبوعِ، يخرجُ معهم، يلاعبُهم، يحملُهم علىٰ ظهرِه، وهو فوقَ السبعين، يُداعبُ أهلَهُ، هكذا حدَّثنا أبناؤُه، مِن أين؟ يتأسَّىٰ برسول الله ﷺ.

ومثلُ هذا -يا إخوةُ- ألا يُذهبُ شقاءَ الأسرةِ؟ إذا كانت تعلمُ أنّ هذا

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٦٤)، ورواه النسائي (٥/ ٨٩٤٤-الكبرىٰ)، وأحمد (٦/ ٣٩)، والبيهقي (١٠/ ١٧) نحوه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣١)، و«صحيح أبي داود» (٧/ ٢٣٢٣).

الرجلَ، هذا الأبّ قد خصَّصَ لها يومًا، يُدخلُ فيه السرورَ عليهم، ستجدُ أنّ الأسرةَ تسعدُ بقية الأسبوعِ، وتنتظرُ هذا اليومَ، وهذا مِن أعظمِ أسبابِ السعادةِ، وإن كنا قد غفلنا عنه.

بعضُنا يتعاظمُ يقول: أنا شيخٌ، أنا مدرسٌ، أنا إمامُ مسجدٍ، أنا كذا، كيف ألاعبُ الأبناءَ؟ كيف ألعبُ مع زوجتي وأسابقُها؟ هذا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعلُ هذا، وهذا مِن أعظمِ أسبابِ السعادةِ، وليس لهذا -يا إخوةُ- سِنٌّ، بعضُ الناسِ، إذا قلت له هذا قال: هذا للشبابِ الآن أنا جاءني المبيضُ، ابيضَّ شعرُ اللحيةِ، سبحانَ الله! هذا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سِنٍّ متقدِّمٍ، لا يغفلُ عن هذا الأمرِ، فينبغي -أيُّها الإخوةُ- أن لا نغفلَ هذا الأمرَ، الزوجُ والزوجةُ والأبناءُ، بحاجة إلىٰ سعادةِ الأسرةِ، ولو تقدَّم بهم العمرُ، السعادةُ يحتاجُها الإنسانُ، بل أقولُ: إنَّ الإنسانَ إذا تقدم به العمرُ، احتاج إلىٰ أسبابِ السعادةِ أكثرَ، فهذا سببٌ عظيمٌ.

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت واصفةً حالَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته:

«كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَيْهَا»[١] اللهُ أكبرُ! رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا كان في بيتِه، يكونُ في مهنةِ أهلِه، وهذا يُدخلُ السرورُ علىٰ الزوجةِ، عندما يقومُ الزوجُ في أمرها، في مهنتها، يُساعدُها في بيتها، هذا مِن أعظمِ أسبابِ سعادةِ الأسرةِ.

ومِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ، العدلُ بين الابناءِ، وعدمِ التمييزِ بينهم في المعاملةِ، العدلُ بينهم في الاقتسامِ، العدلُ بينهم في الحديث، العدلُ بينهم في اللعبِ، العدلُ بينهم في العطِيَّة، فهذا يجمعُ القلوبَ، إذا رأىٰ الأبناءُ أنَّ أباهم يعدلُ بينهم، اجتمعت قلوبُهم، واجتمعوا علىٰ أبيهم، يضحكُ مع هذا، ويضحكُ مع هذا، يحدِّثُ هذا، ويحدِّثُ هذا، يلاعبُ هذا، ويلاعبُ هذا، فتجتمعُ القلوبُ، أمَّا إذا فرَّق بين أبنائه، فقد فرَّق قلوبَهم، ولذلك -يا إخوةُ- جاء في الحديثِ أنّ امرأةَ بشيرِ بنِ سعدٍ، قالت لزوجِها: انْحَلْ ابني غلامًا، وأشهدْ لي رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -المرأةُ كانت حريصةً علىٰ أن يُعطيَ ابنَها، وأن يُشهدَ مَن؟ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال النعمانُ بنُ بشير:

---

(١) رواه البخاري (٥٣٦٣).

فأتىٰ رسولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقال: «إنّ ابنةَ فلانٍ سألتني أن أنحَلَ ابنَها غلامًا فقال له النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَلَهُ إِخْوَةٌ؟» قال: «نعم»، قال: «فَكلَّهُمْ أَعطَيْتَ مثلَمَا أَعطَيْتَه؟» قال: «لَا»، قال: «فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا، وَإِنِّي لَا أَشْهَدُ إِلَّا عَلَىٰ اَلْحَقِّ»، هذا الحديثُ حديثٌ عظيمٌ، فبشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أعطىٰ ابنَه غلامًا، ولم يُعطِ بقيةَ إخوانه، ولم يكن هنالك سببٌ للتخصيص؛ فقال له النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا، وَإِنِّي لَا أَشْهَدُ إِلَّا عَلَىٰ اَلْحَقِّ»(١)، وفي رواية قال: «لَا تُشْهِدْنِي عَلَىٰ جَوْرٍ، وَإِنَّ لِبَنِيكَ عَلَيْكَ حَقًّا أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ»(٢)، فالعدلُ بين الأولادِ، مِن أعظمِ أسبابِ سعادةِ الأسرِ.

ومِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ، حسنُ الظنِّ بين الزوجين، الزوجُ يدخلُ إلىٰ بيتِ الزوجيَّةِ وهو يُحسنُ الظنَّ بامرأتِه في معاملاتِها وفي تصرُّفاتِها، إذا تصرَّفت الزوجةُ وأخطأت، فسَّرهُ علىٰ حُسْنِ الظنِّ، والتمس لها المَخْرَجَ، وحَمَلَهُ المَحمَلَ الحسَنَ، وإذا بلغ الأمرُ أقصاه، ولم يجد مَحْمَلًا حسنًا

---

(١) رواه مسلم (١٦٢٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٤٢)، وأحمد (٤/ ٢٦٩)، وانظر «الصحيحة» (٣٩٤٦).

قال: زلةٌ مِن عاقلٍ، فلم يحمِلْ عليها، والزوجةُ تُحسنُ الظنَّ بزوجِها، وتحملُ أمورَه علىٰ أحسنِ المحاملِ، ويعفو كلُّ واحدٍ عن زلةِ الآخرِ، وهذا مِن أعظمِ أخلاقِ الرجالِ والنساءِ.

ومِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ، أن يقومَ التعاونُ بين أفرادِ الأسرةِ علىٰ الخيرِ، وأن يحرصَ الزوجانِ علىٰ ذلك، وأن يُربِّيَ الأبَوان أبناءَهما علىٰ ذلك، يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة:٢]، وإذا كان التعاونُ علىٰ الخيرِ في البيتِ، حصلت الراحةُ والسرورُ، تأمّلوا معي أمرًا أرشدَ إليه النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيه لذةٌ مِن أعظمِ لذات الدنيا، يقولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قامَ مِنَ اللَّيْلِ؛ فصلَّىٰ وأيقظَ امرأتَه فَصَلَّتْ، فإنْ أبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، ورَحَمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَصَلَّتْ، وَأَيقَظَتْ زَوجَهَا فَصَلَّىٰ، فَإنْ أَبَىٰ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»[1] ما أجملَ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦)، وابن خزيمة (٢/ ١١٤٨)، وابن حبان (٦/ ٢٥٦٧)، والحاكم (١/ ١١٦٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٠)، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، وحسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود» (٥/ ١١٨١).

هذا التعاونَ علىٰ الخيرِ، يقومُ الرجلُ فيصلِّيّ مِن الليلِ، ولا يحرُمُ امرأتَه مِن هذا الخيرِ، بل يُوقظُها، فإنَّ أبَت أخذَ ماءً؛ فوضعَه في وجهِها، مِن أجلِ أن تستيقظَ، والمرأةُ تقومُ مِن الليلِ، فتصلي وتوقظُ زوجَها، فإن أبىٰ أخذت ماءً؛ فنضحته في وجهِه، إنَّها أسرةٌ قامت علىٰ التعاونِ علىٰ الخيرِ؛ فيفرحُ بهذا، أما إذا لم تقمِ الأسرةُ علىٰ التعاونِ علىٰ الخيرِ، قد يثورُ كما يثورُ البركانُ، ولا تتحقَّقُ السعادةُ.

وإنّ مِن أسبابِ السعادةِ في الأسرةِ، أن يكونَ الرجلُ ملتزمًا بمنهج الصالحين في معاملةِ أسرتِه، فيكونَ محمودَ السيرةِ، طيِّبَ السريرةِ، سهلًا رفيقًا بزوجتِه، وأولادِه، رحيمًا بهم، والرِّفقُ ما كان في شيءٍ إلا زانه، وما نُزع من شيءٍ إلا شانه[1]، لا يُكلِّفُهم شططًا، ويُوَطِّنُ نفسَه علىٰ قبول المُنغِّصات مِنهم، إذا رأىٰ مِن امرأتِه شيئًا يكرهُه، ذكّرَ نفسَه بمحاسنِها، وإذا رأىٰ زلَّةً مِن ولده، ذكَّرَ نفسَه بما في ولده مِن خيرٍ، فلا يشقىٰ في أسرتِه ولا يُشقي أسرتَه، يعلمُ أنّ المرأةَ ضعيفةٌ، وأنه أخذها بأمانةِ اللهِ؛ فلا يظلمُها أبدًا، يسترُ علىٰ

---

(١) كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلم (٢٥٩٤).

المرأةِ، ولا ينشرُ أسرارَها، يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ، عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَىٰ امْرِأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[1] هذا مِن شرِّ الناسِ منزلةً يومَ القيامةِ.

الرجلُ الذي يسيرُ علىٰ منهجِ الصالحين، يُضاحكُ أهلَه ويُلاعبُهم اقتداءً بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يرعاهم؛ لأنه راعٍ، لا يضربُ امرأتَهُ ضربًا شديدًا، لا يضربُ امرأتَهُ ضربَ منتقمٍ، وإنما إن ضربها ضربها ضرْبَ مؤدِّبٍ، تشعرُ معه أنه يؤدِّبُها، أما إذا ضربها ضرْبَ انتقامٍ، فضربها ضربًا، وجلدها جلدًا، تخرجُ السعادةُ مِن البيتِ، يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ»[2] ؛ فإذا جلدَها ضاقت نفسُها به فلا يسعدُ بها.

الرجلُ الذي يسيرُ علىٰ منهجِ الصالحين في بيتِهِ، يُعطي المرأةَ حقَّها، الذي جعله اللهُ لها، ولا يشتِمُها ولا يقبِّحُها، ولا يقبِّحُ أهلها، ولا يلعنُها،

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٠٤).

ولا يلعنُ أهلَها، لماذا؟ لأنه يعلمُ أنه قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما حقُّ زوجة أحدِنا علينا؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلاَ تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلاَ تُقَبِّحَ، وَلاَ تَهْجُرَ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ»(١).

لا يحاسبُ امرأتَه علىٰ كلِّ شيءٍ؛ لأنه يعلمُ أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ؛ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»(٢).

إذا التزمَ الرجلُ منهجَ الصالحين في أسرتِه، تحققَّت السعادةُ في بيتِه، فحصل الخيرُ الكثيرُ لهذه الأسرةِ؛ وكذلك الزوجةُ، تسيرُ في أسرتِها علىٰ منهجِ الصالحاتِ، تعظّمُ حقَّ زوجِها، وتُعظِّم حقَّ أسرتِها؛ لأنها تعلمُ

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، وابن حبان (٩/ ٤١٧٥)، والحاكم (٢/ ٢٧٦٤)، وأحمد (٤/ ٤٤٦ و٤٤٧)، و(٥/ ٣ و٥)، وصحح إسناده الحاكم، ووافقه الذهبي، والألباني في «الإرواء» (٢٠٣٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨) -واللفظ له-.

أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظّم حقَّ الزوجِ عليها، وهذا بابٌ عظيمٌ، أفردت له محاضرةً سُجّلت، عنوانُها: «حقوق الزوجين»[1]، ذكرت فيها ما ثبت عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن حقوقِ الزوجينِ، ولا شكَّ أنه لو عُمِل بالحقوقِ، التي دلت عليها السنَّةُ، لكان في ذلك سببٌ عظيمٌ، مِن أسبابِ سعادةِ الأسرِ.

ولا أحبُّ أن أطيلَ عليكم، هذه بعضُ الأسبابِ في سعادةِ الأسرِ، اقتطفتُها مِن كتابِ ربِّنا، ومِن سنةِ نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رجاءَ أن نعمل بِها، وأن نُعلِّمَها، وأن ننشُرَها؛ لتستقرَّ الأسرُ وتسعدَ، ونطردَ الشياطينَ مِن بُيوتِنا.

ولعلِّي أختمُ بوصيةٍ، وهي أن نُبعِدَ ما يغضبُ اللهَ مِن بيوتِنا، واللهِ إنّ مِن أعظمِ أسبابِ الشقاءِ أن نجعلَ في بيوتِنا ما يُغضبُ اللهَ، ولو ظنّ الناسُ أنه مِن أسبابِ السعادةِ، فعلينا -إخوتي في الله- أن ننظرَ في بيوتِنا، فإنّ

---

(١) وقد تولىٰ طباعتها ونشرها: «دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع».

وجدنا فيها ما يُغضبُ اللهَ؛ فلنُخرجْه مِن البيتِ، وذلك يُحققُ لنا السعادةَ، فاللهَ اللهَ -أيُّها الإخوةُ- في هذا الأمرِ العظيمِ.

القول المنبج

بذكر وصايا في المنهج

فضيلة الشيخ
عبيد بن عبد الله الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

أمير المؤمنين
للنشر والتوزيع

الجنة

المملكة الواسعة

لفضيلة الشيخ
أبي منير عبد الله بن عثمان الهيتي الدماري
حفظه الله تعالى

للنشر والتوزيع

التجارة الرابحة

في الأعمال الصالحة

لفضيلة الشيخ
أبي منير عبد الله بن عثمان القيسي الزماري
حفظه الله تعالى

للنشر والتوزيع

صدر للمؤلف

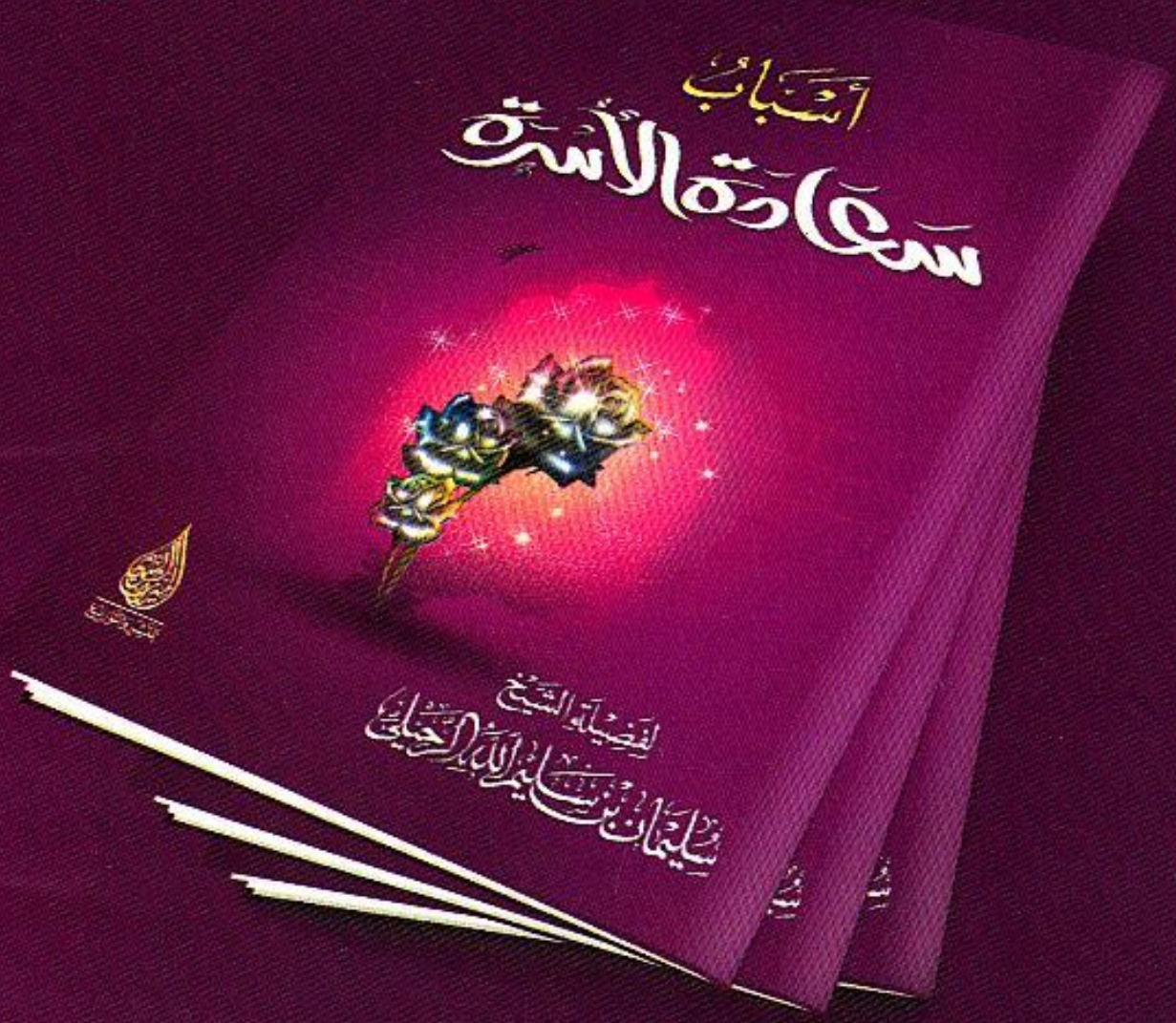

ISBN 9947987639

9 789947 987636

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

المدار البيضاء - الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213)

المبيعات: 661409999 (00213) الفاكس: 21966847 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com